باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. آمين.

أحبائي، الكهنة، الشمامسة، الخدام، أعضاء لجان الكنيسة، وجميع أبناء الشعب، نعمة وسلام لكم في هذه المناسبة المفرحه التي نحتفل فيها بميلاد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح وسر تجسده العجيب—الله الذي إتخذ جسدًا ليحل بيننا.

"والكلمة صار جسدًا وحل بيننا، ورأينا مجده، مجدًا كما لوحيد من الآب، مملوءًا نعمة وحقًا" (يوحنا ١٤:١).

هذه الكلمات التي كتبها الإنجيلي تعبر عن جوهر عيد الميلاد. فهو ليس مجرد حدث تاريخي، ولا مجرد قصة مثيرة للمشاعر عن طفل وُلد في مذود. إنه الحدث الأهم في تاريخ البشرية—اللحظة التي أتي ودخل فيها خالق الكون إلى خليقته، في إتضاع عجيب لأجل خلاصنا.

"الذي هو صورة الله غير المنظور، بكر كل خليقة. فإنه فيه خُلق الكل: ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل" (كولوسي ١٥:١-١٧).

يمثل ميلاد المسيح سرًا عظيمًا في عالم يبجل ويمجد القوة والثروة والمكانة. ملك الملوك اختار أن يولد في مذود متواضع، وليس في قصر. لم يدخل الي العالم في موكب ملكي بل في سكون وهدوء أحدي ليالي بيت لحم، محاطًا برعاة أغنام وحيوانات. يا لعظم هذا الإتضاع !! مع كونه إلهًا كاملاً، أخذ المسيح طبيعتنا البشرية. لم يأتِ مثل جبار أو خارق للطبيعة، بل كواحد منا— شابهنا في ضعفنا وإحتياجنا أو إعتمادنا على الآخرين. تخيلوا هذا الواقع المذهل: الإله الذي بكلمته أخرج الكون إلى الوجود جاء كطفل صغير، بجسد حقيقي ودم ، خاضعًا للجوع والألم بل وحتى الموت.

عن هذا السر العظيم، يقول القديس أغسطينوس:

"صانع الإنسان صار إنسانًا، حتي أن المتحكم بالنجوم يرضع من صدر أمه؛ لكي يجوع الخبز، ويعطش النبع، وينام النور، ويتعب الطريق في مسيرته؛ لكي يُتهم الحق زورًا، ويُجلد المعلم بالسياط، ويُعلق الأساس على خشبة؛ لكي تضعف القوة؛ لكي يُجرح الشافي؛ لكي تموت الحياة." – القديس أغسطينوس.

لماذا اختار القدير هذا الطريق؟ لماذا قَبِل أن يتحمل الألم والرفض؟ لماذا سمح لنفسه بالشعور بالألم؟ نعم إنها محبته العظيمة لنا—محبة عميقة لدرجة أنه كان مستعدًا للدخول إلى إنكسارنا ليمنحنا الشفاء والحياة والرجاء. أحيانًا يصعب علينا أن نصدق أن إله الكون، الظابط الكل والممسك كل شيء بكفيه، يهتم بنا بهذا المقدار وبهذه الطريقة. قد نشعر بالنسيان في أوقات الشدة، أو نشك في محبته عندما نسقط في الخطية. لكن التجسد هو الدليل المطلق والبرهان القاطع على محبة الله للبشرية وعنايته بكل واحد من أبنائه علي هذه الأرض.

تذكروا الكلمات التي قالها الله لموسى عندما كان شعبه تحت نير العبودية في مصر:

"إني قد رأيت مذلة شعبي الذين في مصر، وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم، إني علمت أوجاعهم. فنزلت لأنقذهم..." (خروج ٧:٣-٨).

هذا هو معنى عيد الميلاد—الله نزل ليخلصنا. إنه "عمانوئيل—الله معنا." فهو غير جالس بلا عمل في السماء، كمن يشاهد معاناتنا من بعيد، لكنه نزل ودخل إلي عالمنا ليخلصنا ويشفينا ويعيدنا إلى الحياة. من خلال تجسده، إتخذ الله ضعفنا وذلنا وسار في طريقنا،

كما يعلمنا القديس بولس في الرسالة إلى العبرانيين:

"فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضًا كذلك فيهما... لذلك كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء" (عبرانيين ٢:١٤، ١٧).

لماذا فعل ذلك؟ لأنه يهتم. إنه يهتم ويعتني بك بعمق، بلا شروط، وإلي الأبد. يهتم بك أكثر مما يمكنك أن تدرك. كما تهتم الأم برضيعها بطرق لا يمكن للطفل أن يدركها، هكذا أيضا يهتم الله بي وبك وبكل واحد من أبنائه بطرق يعسر علينا أن نفهمها. ولا يوجد مكان تمثلت فيه هذه الرعايه والإهتمام أكثر من تجسده المجيد والمعطي للحياة.

"فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه وهو غني افتقر لأجلكم، لكي تستغنوا أنتم بفقره" (٢ كورنثوس ٨:٩).

لذا، بينما يحتفل العالم بعيد الميلاد بالزينة والحفلات والهدايا، دعونا نتذكر السبب الحقيقي وراء هذه المناسبه : **أنت**. نعم ، أنت السبب الذي جاء المسيح من أجله. جاء ليعيد اليك حياتك، ويفدي نفسك، ويأتي بك إلى فرحه الأبدي. أحبائي، هل يوجد سبب لدينا اعظم من هذا لنفرح ؟

و كما قال القديس يوحنا ذهبي الفم

"فلنحتفل إذن بالعيد. عجيب حقًا هو تاريخ الميلاد بأكمله. في هذا اليوم انتهت العبودية القديمة، أُخزي ابليس، وهربت الشياطين، وتحطمت قوة الموت، وفُتح الفردوس، وأُزيلت اللعنة، ومحيت عنا الخطيه، وطُرد الباطل، ورُدت الحقيقة، وانتشر لطيف الكلام في كل الأرجاء ، وزُرع أسلوب حياة سماوي على الأرض، وتواصل الملائكة مع البشر دون خوف، وأصبح للبشر حديث مع الملائكة." – القديس يوحنا الذهبي الفم.

لنحتفل بهذا العيد ليس كمجرد متفرجين. لنتجاوب مع محبة المسيح بالاقتراب منه بالإيمان والطاعة. إذا كنت قد ابتعدت عن الله، فاعلم أن ذراعيه مفتوحتان لترحب بك حين عودتك. إذا كنت تحمل أعباء، ضعها عند قدميه. ليكن هذا العيد نقطة تحول ـــوقتًا تحتضن فيه هبة الحياة الجديدة وتعيش في ملء نعمته. لنتقدم لهذا الاحتفال ليس فقط كمستقبلين لحبه، بل كشهود لنوره، ناشرين فرح التجسد في عالم يحتاج إليه.

بشفاعات العذراء الطاهرة، والدة الإله وأم النور، القديسة مريم، وبصلوات الشيخ المبارك القديس يوسف النجار، وبصلوات أبينا البطريرك وراعينا، قداسة البابا تواضروس الثاني، عيد ميلاد مجيد لكم جميعًا. •

الأنبا بيتر

أسقف إيبارشية شمال وجنوب كارولاينا وكنتاكي و النائب البابوي لكنائس فرجينيا